القسم الثاني : فكرة الحياد في السياسة والفكر اللبنانيين

اولا ـ سياسة الحياد اللبناني بعد الاستقلال

فكرة الحياد اللبناني يعود تاريخها الى الايام الاولى للاستقلال · وقد اثيرت آنذاك بمناسبة البحث في تحديد معالم السياسة الخارجية · وتحمس لها زعماء الاستقلال لسببين : دولي وعربي · ففرنسا ، التي رضيت مكرهة بمنح الاستقلال للبنان ، ارادت تقييده بمعاهدة تحفظ لها بعض الامتيازات دون بقية الدول · ورفض لبنان ذلك واصر على عدم التمييز بين فرنسا وغيرها من الدول التي كان لها دور في نيل الاستقلال · وكانت فكرة الحياد وقتئذ تعني عدم التمييز ، من حيث التعامل الخارجي ، بين دولة واخرى ·

اما المبرر العربي لاتباع سياسة الحياد في لبنان فيتلخص في تجنب الصراع الذي كان قائما بين المعسكرين : الهاشمي (الاردن والعراق) والسعودي (السعودية مدعومة بنظام الملك فاروق) · فالخلاف لم يكن عقائديا ، بل تسابقا وتهافتا على الزعامة والسيطرة · ولهذا فضل لبنان التزام الحياد ازاء المعسكرين ، والقيام بدور حمامة السلام ، والاستفادة من خيرات العرب · وعادت هذه السياسة بالفوائد الجمة على الطبقة الحاكمة في لبنان فجعلتها شعارا للدولة ·

فالحياد اللبناني اذن « ليس حيادا ايديولوجيا ، بمعنى انه حكم على سياسة ما انها خير وعلى اخرى انها شر ·وهو ليس حيادا طموحا ، بمعنى انه مساهمة في حل مشاكل العالم عن طريق السياسة الحيادية ، كما هو الامر بالنسبة الى الهند مثلا ·وهو ليس حيادا قانونيا ، كالنمسا وسويسرا · ولكنه حياد عملي واقعي ، هو اشبه ما يكون بسياسة نفض اليد وعدم حرق الاصابع بنار الخصومات والمشاكل الدولية · فالعمل ، اي عمل ، مجازفة · والرأي ، اي رأي، يسبب مشاكل ومتاعب · والحكمة كل الحكمة في حركة باطنها سكون ، وكلمة باطنها التنصل » (٧) ·

غير ان هذه السياسة التي كان لها ما يبررها في السنوات الاولى لعهد الاستقلال لم تعد صالحة للاستمرار ، ولم تعد قادرة على مواكبة الاحداث المستجدة وارضاء الطموح اللبناني ، ولا سيما بعد بروز عاملين : قيام اسرائيل التي اصبحت تهدد ، باطماعها التوسعية ، لبنان وبقية دول المنطقة ، ثم تغير طبيعة الخلافات العربية التي اصبحت خلافات حول العقائد والمبادىء والاتجاهات السياسية والاجتماعية ·

وكان من المفروض ان تقلع الطبقة الحاكمة عن خطة الحياد السابقة ، ولكنها